

رؤا "الفيسبوك" في الجزائر..بين ممارسة "الوجود الافتراضي" وتشكيل المشهد الإعلامي

محمد حمادي

أستاذ محاضر "ب"

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-

تاريخ القبول: 2018/01/18

تاريخ الإيداع: 2018/12/02

ملخص

تعالج هذه الورقة البحثية إشكالية العلاقة ما بين مرتادي مواقع التواصل الاجتماعي المثلة في "الفيسبوك" ووسائل الإعلام التقليدية في الجزائر، والدور الذي يلعبه الفاعلون الميدانيون في هذا الفضاء الرقمي؛ هل هم مجرد متلقين سلبيين لكل ما تنشره المنابر الإعلامية، أم أنهم صناع أيضا للحدث، ويتواجدون بطريقة إيجابية عبر شبكة الإنترنت، وهل يمكن لمثلي وسائل الإعلام من مراسلين وصحفيين ومندوبين لتغطية الأحداث، أن يستفيدوا من المواد التي ينشرها الناشطون عبر الفيسبوك؟ وهل ستؤثر هذه النشاطات عبر الفضاء الرقمي على الحصرية والسبق الصحفي لدى وسائل الإعلام ما دام أي مواطن يملك التكنولوجيا من آلات تصوير وهواتف ذكية تصوير الأحداث ونقلها بالصوت والصورة لتنشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية

مرتادو الفيسبوك، الوجود الافتراضي، تشكيل المشهد الإعلامي، السبق الصحفي، الفاعل الميداني، صناعة الحدث، التفاعلية، أشكال الوجود الافتراضي.

Abstract

This paper deal with the problematic of the relationship between the addicts of social media sites, the Facebook in the lead, and the traditional mass media in Algeria in which the role acting by the mediatic actors in this numerical space makes a matter:

Are they just receiving negatively all what stands of communication diffuse? Or are they likewise producing the event so they are positively expressed via the internet network? And can the represents of mass media as: correspondents, journalists and agents delegated

for covering events, profit from the items published by the activists on Facebook? Thus, would these activities practised through the numerical space influence on the mass media's exclusivity and scoop, as long as any citizen had appropriated the technology such as: cameras and smart phones which are able to film events and transmit them, vocally and visually, for publishing via the social media sites?

key words

Addicts of Facebook, virtual presence, forming the media scene, scoop, mediatic actors, the making of event, Interactive, virtual presence forms.

مقدمة

لم يعد الصّحفي التقليدي وحده فاعلا في المشهد الإعلامي بل دخل فاعل آخر يُحسن استخدام التكنولوجيا ويملك أدوات البث والنشر من هواتف محمولة ذكية ولوحات إلكترونية مزودة بشبكة إنترنت عالية التدفق ما مكنه من أن يكون منافسا للصحفيين والمراسلين، عبر السرعة في نشر الأخبار المهمة وتفاصيلها مرفوقة بصور ومقاطع فيديو من مكان الحدث.

في كثير من الأحيان قضت هذه الممارسة الإعلامية على السبق الصحفي والحصرية في نقل الأحداث المهمة، حتى وصل الأمر بوسائل إعلامية إلى الاستعانة بصور ومقاطع فيديو التقطها مواطنون من مسرح الحدث ونشروها على حساباتهم بمواقع التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتها الفيسبوك، بعدما تعذر على مندوبي وسائل الإعلام التواجد في قلب الحدث أو وصولهم متأخرين ما حال دون تصوير الوقائع وجمع معلومات كافية عنها.

وهناك وسائل إعلام لجأت إلى خدمات مرتادي الفيسبوك عبر استحداث بريد إلكتروني وصفحة للتواصل معهم بغية الحصول على معلومات وتوثيق أحداث مهمة بالصوت والصورة عايشوها أو قضايا ومشكلات لم تحظ بالتغطية الإعلامية؛ فعالجوها هم بطريقتهم الخاصة عبر محاورة الشخصيات الفاعلة فيها أو من كانوا ضحية لها. ولجأت منابر إعلامية إلى استحداث صفحات لها على مواقع التواصل الاجتماعي على غرار الفيسبوك والتويتر واليوتوب بغرض التواصل مع الجمهور الذي أضحي شريكا في

صناعة المعلومة، وأحيانا منتقدا وموجها للقائمين على هذه المنابر لتغطية قضايا أو مشاكل أغفلها المنتسبون إليها.

هذه الطريقة في التعاطي مع ما ينشره المواطن الصحفي أصبحت شائعة لدى وسائل الإعلام التقليدية وفي مقدمتها المحطات التلفزيونية، التي وصل بها الأمر إلى إطلاق برامج تعتمد في الأساس على ما ينشر في الفضاء الرقمي، الذي أصبح متاحا للجميع كي يوثقوا أحداثا مهمة بالصوت والصورة أو ينقلوا مشاهد لظواهر خطيرة أو غريبة أو سلوكيات مشينة في المجتمع.

دخول رواد مواقع الاتصال على الخط في إنتاج المضامين الإعلامية، أدى إلى تدفق هائل للمعلومات، التي لم يعد مصدرها الصحفيون والمراسلون والموفدون الخاصون لتغطية الأحداث فقط، بل حتى المواطنون العاديون أصبحوا يشاركون في صناعة المعلومة، ما صعب من مهمة القائم بالاتصال؛ فبشكل أيسر وأدق وأسرع أضحي يعالج مضمونه ويث رسائله بعمق وبكفاءة عن ذي قبل، من خلال مصادر جديدة للمعلومات(1).

من خلال هذه الورقة البحثية سنعمل على تبيان العلاقة ما بين مرتادي موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" ووسائل الإعلام في الجزائر. هل الهدف من تواجدهم عبر هذا الموقع هو نسج علاقات مع آخرين يقاسمونهم هذه البيئة الافتراضية؟ أم أنهم صنّاع للأحداث ومنافسون للصحفيين؟ هل قضوا فعلا على الحصرية والسبق لدى وسائل الإعلام التقليدية في نقل الأخبار؟ وهل فعلا أعادوا تشكيل المشهد الإعلامي؟ وأي مستقبل للممارسة الإعلامية في ظل الحضور الإيجابي لـ"الإنسان الرقمي" عبر النت؟

رواد الفيسبوك..من متلقٍ للمعلومات إلى منافس للصحفيين

رواد مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية ومشاريهم الفكرية باتوا يوفرون معلومات مهمة لوسائل الإعلام ويشاركون في صناعة الحدث؛ فكثير من القضايا كانوا صنّاعها أو السباقين إلى إثارتها، قبل أن تتلقفها وسائل الإعلام التقليدية وتفرد لها مساحات مهمة في مضامينها. لذلك فإن الأفراد الذين يملكون حسابات على فيسبوك أصبحوا يتفاعلون مع كل حدث أو قضية تشكل الصالح العام ويثيرون نقاشات مهمة حولها، عبر تبادل الأفكار التي تحملها التعليقات

المصاحبة للمنشورات التي يضعونها على حساباتهم في ظل تقلص دور النخبة التي كانت غائبة في عدد من الأحداث ولم تسجل حضورا قويا بالنقد والتحليل وتقديم الحلول.

يرى المفكر علي حرب بأن دور النخبة المثقفة في إثارة القضايا المهمة في المجتمع تزعزع أمام الحضور القوي لـ"الإنسان الرقمي"، الذي استفاد من التكنولوجيا وأضحى يمارس وجوده بطريقته الخاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي. علي حرب يقول إنّ الإنسان الرقمي يعمل على صنع ذاته والتعاطي مع واقعه، مستلهما الأفكار من مختلف شبكات الفهم والاتصال، ما أدى -حسبه- إلى زعزعة دور النخبة التي تمارس الوصاية على شؤون الحقيقة والحرية والعدالة؛ فالعقل النخبوي الذي نعته المفكر علي حرب بـ"الإمبراطوري"، ولّى زمنه في عصر الإنسان الرقّمي والعمل الافتراضي والفاعل الميديائي، وهي عوامل تزعزع سلطة الدول، بقدر ما تفجر أطر الزمان والمكان(2).

إنّ رغبة الأفراد في الحصول على المعلومات وكافة التفاصيل المتعلقة بالأحداث الهامة تجعلهم أكثر احتكاكا بوسائل الإعلام التقليدية من جرائد ومحطات إذاعية و تلفزيونية، وتدفعهم إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في تبادل المعلومات والأفكار حول القضايا المهمة وهو ما تناولته نظرية الاعتماد على وسائل الاتصال، التي ترى أن التأثير يعتمد على العلاقات المتداخلة بين الوسائل والجمهور والمجتمع؛ فالرغبة الملحة لدى الأفراد في الحصول على المعلومات هي المتغير الرئيسي، الذي يفسر التأثيرات المعرفية والنفسية لوسائل الاتصال. كما أن الاعتماد على هذه الوسائل يقوى عندما يرى الفرد أن أهدافه تتحقق من خلال الإشباع؛ فالتأثير الاتصالي من وجهة نظر العديد من الباحثين يحدث إما نتيجة الاعتماد على وسائل الاتصال في جلب المعلومات أو لمجرد استخدامها(3).

وترى نظرية الاستخدامات والإشباع التي جاء بها إلياهو كاتز، أن "الجمهور شريك إيجابي ونشط وأنه مدفوع للتعرض للإعلام ومضامينه؛ لتحقيق حاجات يعيها ويدركها جيدا"(4). وعرفت بحوث الاستخدامات والإشباع اهتماما كبيرا في الدراسات الإعلامية، فحاولت تفسير العلاقة بين وسائل الإعلام ومضامينها وعملية إشباع حاجاتهم ودوافعهم.

ما يعني أن الدوافع الكامنة وراء تعرض الجمهور للمضامين الإعلامية ترتبط بالحاجات التي يرغب في تحقيقها، إما التسلية أو الترفيه وسدّ الفراغ، وإما التثقيف والحصول على معلومات مفصلة عن حادث أو قضية معيّنة تشكل اهتمامه. وترتبط الدافعية لدى الأفراد بقوة داخلية تنبع من الأفراد تهدف إلى إشباع حاجاتهم، ما ينتج عنه سلوكيات تكون إما حركية أو ذهنية. كما أن البيئة الاجتماعية التي

يعيش فيها الأفراد وتزوّدهم بقيم معيّنة تحرّك لديهم الدافعية. ويعد "ميكانيزم الدفاع عن النفس من المحددات الهامة للسلوك ويجب استغلاله الاستغلال الأمثل، وذلك بعدم خداع وتضليل القارئ وتصوير الوهم له على أنه حقائق، مما يؤدي إلى جنوح الدوافع والرغبات، وبالتالي الانعكاسات السلبية على القارئ والمجتمع".

الصحافة التقليدية إذن أضحت تواجه عديد التحديات وفي مقدمتها الجمهور الذي لم يعد متلقيا سلبيًا للمعلومة، يتلقف الأخبار فقط من وسائل الإعلام التي توافيه بكل التفاصيل والمستجدات عنها، بل تحوّل إلى منتج وصانع للمعلومة، وأحيانًا هو الذي يبحث عن تفاصيل قضية مهمة؛ فيتقمص دور الصحفي المحقق، الذي يريد تنوير الرأي العام بحقائق يجهلها، ويكشف هوية المتورطين في أعمال غير مشروعة أضرت بالسكينة العامة في المجتمع.

مكمن الصعوبة لدى القائمين على وسائل الإعلام هو اختلاف رغبات وميولات المستهلكين للمنتوجات الإعلامية؛ فالجمهور العام أو ما يطلق عليه بعض الباحثين في حقل الإعلام والاتصال بـ"اللافكرين"، هي الشريحة الأكثر تجاوبا مع المضامين الإعلامية سواء في الصحف أو في المحطات الإذاعية و التلفزيونية؛ فتجدهم يبحثون في صفحات الجرائد وفي برامج التلفزيون ما يشبع حاجاتهم ويحقق رغباتهم في المتعة والترويح عن النفس، ما يجعلهم يتلهفون لمطالعة تلك الأخبار التي تتحدث عن قصص البطولة والشجاعة ومباريات كرة القدم التي تحمل التشويق والتحدي، أما أولئك الذين يبحثون عن اللهو والتسلية، فهتمون بالكتابات الهزلية على غرار الأخبار الطريفة والأعمدة الصحفية، التي تعالج قضايا في المجتمع بأسلوب ساخر (5).

إنّ الجمهور بات يستعين بشبكة الانترنت لنشره المعلومات ما يؤدي إلى تفاعلية أكبر، وهو ما أطلق عليه بظاهرة "المواطن الصحفي"؛ فكل مواطن لديه هاتف نقال أو كاميرا تصوير أضحى يلتقط صورا ومقاطع فيديو لأحداث أو ظواهر معينة وينشرها عبر النت ويشارك الآخرين التعليق عليها (6). وبحسب شاين برومان وكريس ويليس، فإن صحافة المواطن هي: "نشاط للمواطنين يلعبون خلاله دورا حيا في عملية جمع وتحرير وتحليل الأخبار، وهذه المشاركة تتم بنية مد الوسائل الإعلامية بمعلومات دقيقة وموثوق بها، ومستقلة تستجيب لمتطلبات الديمقراطية" (7).

صحافة المواطن أصبحت منافسة للصحافة التقليدية، وأعدت تشكيل المشهد الإعلامي في الجزائر، حيث أضحت المنابر الإعلامية وفي مقدمتها الفضائيات تستعين بما يبثه رواد مواقع التواصل

الاجتماعي من أخبار وصور ومقاطع فيديو في نشراتها الإخبارية وبرامجها المتلفزة سواء أكانت جادة كحصص التي تعنى بالاقتصاد والسياسة أو موجهة للترفيه على غرار الحصص الفنية والفكاهية.

مثل هذه المواد الإعلامية التي ينشرها المواطن الصحفي كانت ملهمة لكثير من الإعلاميين الذين استلهموا منها أفكارا ساعدتهم في إعداد تقارير وربورتاجات وتحقيقات صحفية عن جوانب خفية في المجتمع وظواهر مسكوت عنها ولم يتم تناولها من قبل المنابر الإعلامية. وفي بعض الأحيان تحوّل ناشطون على الفيسبوك إلى شخصيات مشهورة، بسبب مقاطع فيديو أو صور نشرها على حساباتهم، وتناولت قضايا إمّا شخصية عايشوها أو كانوا صناعها أو مشاكل أو حوادث تهم المجتمع برمّته، حيث أعادت نشرها محطات تلفزيونية وأصبحت ظاهرة إعلامية واجتماعية بامتياز.

وركب رواد الفيسبوك في الجزائر موجة الأحداث في كثير من المرات، حيث تداولوا أخبارا وصورا ومقاطع فيديو عنها، وكانوا السباقين إلى إثارة مواضيع وقضايا وطرحها للنقاش، في حين لم تعرف اهتماما من طرف النخبة المثقفة، التي كانت غائبة عن كثير من المسائل المهمّة، ولم تشكّل حضورا قويا عكس الفاعلين الميديائين، الذين سجلوا تواجدهم عبر الشبكة الرقمية بإعادة نشر المواضيع الصحفية والصور والفيديوهات المتعلقة بهذه القضايا والتعليق عليها.

من بين القضايا التي أثارها رواد مواقع التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها الفيسبوك، وأخذت حيّزا كبيرا من الاهتمام لدى الجزائريين، هي قضية اختطاف الأطفال وقتلهم، التي تفاعل معها رواد هذا الموقع بشكل تفاعلي غير مسبوق في 2016، حيث أطلقوا حملات على شبكة الانترنت تدعو إلى استخدام أسلوب الردع لمواجهة هذه الظاهرة الدخيلة على المجتمع الجزائري، عبر تفعيل حكم الإعدام على المتورطين في مثل هذه القضايا.

حضور مرتادي الفيسبوك كان إيجابيا، حيث أثاروا نقاشات مهمة حول ظاهرة اختطاف الأطفال وراحوا يشرّحون أسبابها والحلول لمواجهتها، فضلا عن نشر صور الضحايا ومقاطع فيديو تظهر الحزن الذي يعتري عائلاتهم، وكذا تصوير المظاهرات التي شهدتها عدد من المدن الجزائرية للتنديد بظاهرة اختطاف الأطفال وقتلهم والمطالبة بالقصاص من منفذي هذه الجرائم.

و من المسائل المهمة التي نالت حيّزا مهما من النقاش عبر صفحات التواصل الاجتماعي في 2017، قضية "الباشاغا" بن قانة؛ وهي قضية تاريخية تعود إلى الفترة الاستعمارية بالجزائر، لكنها أخذت أبعادا

سياسية وحتى ثقافية. "الباشاغا" بن قانة أحد المتعاونين مع السلطات الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع العاشر الميلادي، اشتهر إبان احتلال الجزائر باسم "قاطع الأذان"، حيث كان أخطر أعوان المستعمر في منطقة بسكرة، بعدما أفشل كل أشكال الثورة ضد الاحتلال في سنواته الأولى، لكن حفيدته الفرنسية "فريال فوران" ألقت كتابا عنه تحت عنوان: "سي بن عزيز بن قانة.. آخر ملوك الزيبان"، وصورته على أساس "بطل" ساعد بني جلدته وقاوم الاستعمار.

قضية "بن قانة" أثارها رواد مواقع التواصل الاجتماعي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى وسائل الإعلام ثم طرقت أبواب الجامعة، بعد أن طالب أساتذة وباحثون في التاريخ بالرد على حفيده "بن قانة" بأبحاث علمية مشفوعة بمعلومات تاريخية موثقة، لتبيان "الماضي" الأسود لهذا "الباشاغا"، الذي نال أوسمة من طرف المستعمر الفرنسي نظير الخدمات التي قدمها له.

نشطاء على الفيسبوك أبدوا استياء لتمجيد "قاطع الأذان"، وطالبوا بمعاينة المسؤولين، كما شدّدوا على تقديم وزير الاتصال حينها "حميد قرين" لتوضيحات إزاء تمكين حفيده "بن قانة" من الترويج لكتابه المسموم في قصر "أحمد باي" بقسنطينة، ومكتبة الفنون الجميلة، علما أن التلفزيون العمومي ممثلا في قناة "كنال ألجيري" الناطقة بالفرنسية استضافت هذه الكتابة وهو ما خلّف جدلا كبيرا حينها.

وجاء في كتاب حفيده بن قانة الكاتبة الفرنسية "فريال فوران" أنّ جدّها اغتالته فرنسا بسطيف في السابع عشر جوان 1945 !!، رغم أنّ "بن قانة" التحق بصفوف فرنسا كقائد عسكري سنة 1839، أين باشر خيانتته بنكث معاهدة "التافنة"، كما لعب دورا كبيرا في إنهاء ثورة "الزعاطشة" (نوفمبر 1849) وبسط هيمنة المحتل القديم على قسنطينة وعموم الشرق الجزائري(8).

وانتقد عدد من مرتادي الفيسبوك صمت النخبة المثقفة حيال هذه القضية وعدم شرحهم خطورتها للرأي العام كونها تستهدف تزييف التاريخ الوطني، وفي هذا الصدد يعتبر باسكال بونيفاس، أنّ "خيانة المثقفين" تكون في الصمت وعدم الالتزام وعدم الاكتراث بقضايا المجتمع، وبالحياء الحقيقية. المثقفون مطالبون بوضع موهبتهم وشهرتهم، في خدمة قضايا أكثر عمومية، وبالالتزام بالنضال ضد المظالم، هذا ما يطلبه بول نيزان بقوة في سلسلة "كلاب الحراسة" التي نشرت للمرّة الأولى عام 1932.(9)

ومن بين القضايا التي تفاعل معها رواد الفيسبوك ما اصطلح عليه بـ"قضية عبد القادر وزوجته" في 2016، التي أصبحت قضية رأي العام وأخذت منحى آخر بعدما تناولتها قناة النهار وجريدتها وموقعها على النت، فلم تعد مشكلة شخصية بين زوج وزوجته بدأت تفاصيلها في الجزائر وانتهت في الولايات المتحدة الأمريكية، بل أثارت نقاشات جادّة بسبب فشل العلاقات الزوجية وتزايد معدلات الطلاق في الجزائر.

تفاعل مرتادو الفيسبوك مع هذه القضية الشخصية جعلها تأخذ أبعاداً أخرى، حيث دخلت وسائل الإعلام على الخط وراحت تسلط الضوء على تفاصيلها وتكشف جوانبها الخفية بالاتصال بمفجر القضية عبد القادر ومحاوله التواصل مع عائلة زوجته. وتنقلت، جريدة النهار إلى المنزل العائلي للفتاة "إكرام" وحاولت التقرب من أهلها الذين رفضوا الحديث إلى وسائل الإعلام وحاورت العديد من الأطراف القريبة من الزوجين وكانت لها بعض التفاصيل. وحاولت الكشف عن خبايا القضية الشخصية التي تدوالها مواقع التواصل الاجتماعي بين مؤيد الزوج ومتعاطف مع الفتاة.(10)

الجدل امتد إلى تاريخ الجزائر وهذه المرة طال أحد قادة الثورة التحريرية، حيث أثار رواد الفيسبوك قضية انجرف وراءها الرأي العام، تتمثل في تمثال الشهيد العربي بن مهيدي الذي أثار ضجة كبيرة في مدينة عين مليلة بولاية أم البواقي، ثم امتدت إلى كافة ولايات الجزائر، إذ تفاجأ سكان للصورة التي ظهر بها الشهيد العربي بن مهيدي، في النصب التذكاري الذي خصص له في ذكرى استشهاده والتي كانت مغايرة له ولا تشبهه تماما، حيث أبدى رواد الفيسبوك غضبا واستياء إزاء الشكل الذي ظهر به الشهيد في النصب التذكاري الذي خصص له ووضع بالمخرج الجنوبي لمدينة عين مليلة مسقط رأسه، على الطريق المؤدي إلى ولاية باتنة، دون حتى لافتة تشير إلى اسمه، معتبرين ذلك إجحافا في حق شخص يمثل تاريخ وذاكرة الثورة التحريرية، ومات تحت التعذيب لرفضه الإفشاء بأسرار الثورة.

وبدا الشهيد في رأسه الحديدي كأنه شخص مسن وبملامح رومانية، والمجسم لا يطابق أبدا الصورة الحقيقية للبطل العربي بن مهيدي، الذي استشهد في سن الشباب. هذا الجدل تناولته جريدة الخبر التي نقلت امتعاض من وصفهم بالفيسبوكيين وبعض سكان عين مليلة الذين تحدثت إليهم الصحيفة، إزاء صمت البلدية والسلطات الولائية وبعض أفراد الأسرة الثورية ووزير المجاهدين تجاه هذا التشويه الظاهر للعيان. هذه الضجة التي أثارها رواد الفيسبوك وسلطت الصحافة عليها الضوء انتهت بإزالة التمثال المثير للجدل من طرف السلطات المحلية.(11)

الحملة الانتخابية الخاصة بالاستحقاقات المحلية التي نظمت في 23 نوفمبر 2017 صنعت هي الأخرى الحدث عبر مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك، حيث نشر ناشطون على هذا الموقع صورا ساخرة لمرشحين، إذ قاموا بإضفاء تعديلات عليها كي تبدو طريفة، وأرفقوها بتعليقات ساخرة تم تداولها على نطاق واسع؛ فكانت مثل هذه المنشورات بمثابة انتقادات لأداء المنتخبين في العهدة السابقة، وكذا افتقار المرشحين لانتخابات للمستوى العلمي والثقافي الذي يؤهلهم على تقلد مناصب المسؤولية في المجالس البلدية والولائية.

التفاعل بطريقة ساخرة مع الحملة الانتخابية انتقل من الفيسبوك إلى الصحافة المكتوبة؛ فعمدت مثلا جريدة "الشروق اليومي" إلى استحداث ركن جديد على صفحاتها أطلقت عليه اسم "كواليس الحملة"، نشرت فيه طيلة الحملة الانتخابية للمحليات أخبارا تحمل عناصر الإثارة والغرابة والطرافة وحتى التناقض، تتعلّق بمواقف وتصريحات تخص رؤساء الأحزاب وكذا المرشحين.

لكن، ليس معنى هذا أنّ ما تنقله صحافة المواطن هي أخبار حقيقية يمكن نشرها من طرف وسائل الإعلام، بل يجب التأكد منها عبر التحقيق الميداني والاتصال بمصادر الخبر وكل من له علاقة مباشرة بالأحداث؛ لأن كثيرا من الأخبار التي تداولها مرتادو مواقع التواصل الاجتماعي كانت مجرد شائعات أثرت بشكل سلبي على السكينة في المجتمع، كنشر أخبار مغلوطة عن وفاة شخصيات عامة على غرار فنانيين معروفين أو تقديم وقائع كاذبة عن أحداث مهمّة، عبر نشر صور مفبركة أو مقاطع فيديو مركبة لا تعكس الحقيقة، قد تؤدي إلى اتهام أشخاص لا علاقة لهم بمثل هذه الأحداث وتعريض حياتهم للخطر.

ومن بين الأمثلة عن الأخبار المغلوطة والصور المفبركة ذلك التصرف الخطير الذي بدر من أصحاب حسابات على الفيسبوك، حيث تم نشر صور لشباب ينحدر من ولاية ميله بالشرق الجزائري، على أنّه قاتل الطفلة "نهال" البالغة من العمر سنتين، التي عثر عليها جثة مشوهة بقرية مشرك في ولاية تيزي وزو، بعد 15 يوما من البحث عنها. المعني تم تداول صورته على نطاق أوسع ووصلت إلى وسائل الإعلام، ما جعل صاحب الصورة يكذب ما جاء في هذه المواقع من معلومات مغلوطة كادت أن تكلفه حياته، خاصة وأن نشر صورته تزامنت مع تنظيم مسيرات تُندد باختطاف الأطفال وقتلهم، شارك فيها الآلاف من المتظاهرين.

لأننا نعيش في مجتمع المشهد، فإن هذا المجتمع هو مجتمع الصور، التي تغزو البيوت والعقول، عبر الشاشات والقنوات، لذلك فإنّ أي خطأ في نشر هذه الصور التي تحمل دلالات ومعان سيؤدي إلى آثار سلبية على سكينة المجتمع، لذلك ينبغي التحقق من صحّة المواد التي ينتجها وينشرها الفاعلون الميديائيون عبر الشبكة الرقمية.

الصحفيون من جهتهم يدركون التأثير الإعلامي الذي يمارسونه على أفراد المجتمع، ما يجعلهم أكثر جدية في تناول الأحداث والقضايا المهمّة، وأكثر حرص على الالتزام بالحياد والموضوعية والابتعاد عن التهويل والتضخيم وتزييف الحقائق، كي لا يضللوا الرأي العام بمعلومات مغلوطة تكون لها آثار سلبية على استقرار المجتمع وتماسكه(12).

رواد الفيسبوك وممارسة الوجود عبر الننت

تختلف أهداف رواد مواقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك عبر هذا الفضاء؛ فمنهم من يرى فيه وسيلة للترفيه والتسلية وتمضية الوقت، في ما يعتبره آخرون وسيلة للتواصل مع الأصدقاء والأقارب ومختلف الهيئات والجمعيات والمؤسسات والشخصيات العامة التي تملك حسابات على الفيسبوك، فيتواصل معها ويتابع كل جديد عنها.

الفيسبوك تحوّل إلى وسيلة لممارسة الوجود عبر شبكة الانترنت، لدى الأشخاص الذين لم تتح لهم الفرصة للظهور عبر المنابر الإعلامية للتعبير عن آرائهم أو طرح انشغالاتهم أو أولئك الذين لم يتمكنوا من التواصل مع العاملين في هذه المنابر، فوجدوا في موقع التواصل الاجتماعي ملاذا يمارسون فيه وجودهم، عن طريق نشر أفكارهم، وأحيانا يذهبون إلى أبعد من ذلك عندما يقومون بتركيب فيديوهات يتحدثون فيها عن مشكلة أو قضية ما ويبدون رأيهم فيها أو ينتقدون سلوكيات معيّنة، لينشروها فيما بعد في حساباتهم على الفيسبوك. وينتظر من كل هذه العملية ردود فعل تكون متباينة من قبل الأصدقاء الذين يقاسمهم الفضاء الأزرق، إما بوضع علامات الإعجاب أو إدراج التعليقات على المنشورات.

غيّرت شبكات التواصل الاجتماعي علاقة الفرد بوسائل الإعلام والمضامين التي تقدّمها؛ فأضحى جزء منها وأحد المشاركين في صناعتها. لكن النظرة إلى العلاقة بين الإعلام ومواقع التواصل ما تزال رهينة نظرة الشك والريبة من قبل الباحثين في هذا المجال؛ فهناك من يعتبر أنّ مواقع التواصل الاجتماعي أو ما يعرف بالإعلام الجديد تشكّل تهديدا حقيقيا لوسائل الإعلام التقليدية الممثلة في الصحيفة والإذاعة والتلفزيون، في حين يرى طرف آخر أنّ مثل هذه الوسائل ما تزال تحظى بمكانة كبيرة في المشهد الإعلامي وتتمتع بمصداقية لدى أفراد المجتمع كونها توثّق المعلومات وتنقلها عن مصادرها. بينما ينقل الإعلام الجديد الأحداث بسرعة فائقة لكنه لا يتحرى مدى صحتها.

لذلك ينبغي القول أن وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي يكملان بعضهما البعض، فالثانية توفر للأولى معلومات هامة تساعد الصحفيين أو المراسلين أو المندوبين الخاصين الذين غطوا الحدث في عملهم، في حين تعمل وسائل الإعلام على تحري صحة المعلومات عبر المصادر التي يتعامل معها المنتسبون إلى هذه المنابر.

إذن ساهم الإعلام الجديد من مواقع خبيرة إلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي في إلغاء جميع الحواجز التي تقف أمام الأفراد للتعبير عن آرائهم حيال القضايا الهامة، حيث أدى العالم الافتراضي إلى خلق مجتمع شبكي وأعاد رسم خارطة العلاقات الإنسانية عبر المنصات الإلكترونية، حيث تتيح مواقع التواصل الاجتماعي الرقمي والتبادل المعلوماتي عبر تبادل الأخبار والصور ومقاطع الفيديو.

المجتمع الافتراضي وأشكال الوجود

انتقلت العلاقات الاجتماعية والإنسانية من الواقع إلى العالم الافتراضي الذي أضحي يعج بمواقع التواصل وفي مقدمتها "الفيسبوك" الذي غدا أداة تواصل مهمة بين الأفراد، كونت لديهم علاقات افتراضية تحوّل معظمها إلى علاقات حقيقية في الواقع.

مثل هذه المواقع أصبحت فضاء لإثبات الذات في بيئة رقمية افتراضية تزدحم بالعديد من المواقع التي تتيح التواصل، وكذا عديدا من المواقع الإعلامية الإلكترونية التي تهتم بمختلف الأخبار وتتابع المستجدات المتعلقة بالقضايا الهامة وتنشر حوارات مهمة مع شخصيات فاعلة في ميدان من الميادين أو معروفة بإثارتها للجدل عبر تصريحاتها المثيرة والغريبة في آن ذاته. مثل الموقع الإلكتروني "TSA" وهو اختصار لعبارة بالفرنسية Tout sur l'Algérie وتعني كل شيء عن الجزائر. هذا الموقع كان السباق في نشر معلومات هامة وإجراء حوارات حصرية مع مسؤولين هامين في الدولة. واتخذته عديد الشخصيات السياسية منبرا للرد على خصومها وتصحيح بعض المعلومات التي رأت فيها تشويها لسمعتها أو تشهيرا بها، حتى أنّ صحفا وقنوات تلفزيونية وحتى مواقع على النت، أضحت تتخذه مصدرا للمعلومات التي تنشرها وتنقل عنه تلك الحوارات الحصرية التي أجراها مع شخصيات ظلّت بعيدة عن الصحافة وترفض الإدلاء بتصريحات أو إجراء لقاءات مع المنتسبين إليها. موقع "TSA" بالفرنسية أصبح لديه نسخة بالعربية واستطاع في ظرف وجيز أن يجد له مكانا بين الصحافة الإلكترونية نظرا للسبق الصحفي والحصرية التي بات يحققها في كل مرة، عبر مادة إعلامية متميزة شكّلت التفرد في تغطية كثير من الأحداث المهمة.

إنّ الوجود الافتراضي هو حضور للفاعل الميديائي على مواقع التواصل الاجتماعي حضورا إيجابيا عن طريق إثبات ذاته عبر نشر الصور ومقاطع الفيديو التعليق على المنشورات، مشاركة بعض المواد الإعلامية أي أنّه لا يكتفي باستهلاك المواد المنشورة وإنّما يشارك في حلقات النقاش الافتراضية حولها بالتحليل والنقد والتعقيب على مختلف الآراء؛ فأنشطة التحديث والتغيير والنشر لمختلف المواد الإعلامية من صور ومقاطع فيديو تصاحبها عادة حركات تفاعلية من قبل رواد فيسبوك على غرار تسجيلات

الإعجاب والتعليق وإعادة نشر المنشورات وتداولها من قبل الأصدقاء الذين يتقاسمون الفضاء الأزرق، مثل هذه الأنشطة التي تحدث في بيئة رقمية هي شكل من أشكال الوجود الافتراضي، وإثبات للذات.

وقد استفادت كثيرا وسائل الإعلام التقليدية من هذه الأنشطة التي يقوم بها مرتادو الفيسبوك، حيث كانت مصدرا لبعض المواضيع الصحفية وملهمة لقائمين على وسائل الإعلام لإطلاق برامج تلفزيونية استوحت أفكارها من المنتمين إلى البيئة الرقمية. خاصة تلك الحملات التي تحمل اسم "هاشتاغ" أو وسم يشارك فيه أصحاب حسابات الفيسبوك بإطلاق حملة معينة الهدف منها التصدي لسلوكيات معينة أو المشاركة في عملية تضامنية أو الرد على تصريحات مسيئة للبلد.

خاتمة

رواد موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك" أعادوا فعلا تشكيل المشهد الإعلامي في الجزائر وأضحوا شريكا إيجابيا للمنابر الإعلامية، التي غيّرت نظرتها لهذه الشريحة، حيث أصبحت تكيف مضامينها الإعلامية وفقا للتحويلات التي أحدثها الفاعلون في البيئة الرقمية، الذين باتوا يوفرون المعلومات للصحفيين والمراسلين ويفيدون مقدمي ومعدّي البرامج التلفزيونية بأفكار جديدة ما أدى إلى خلق تنافسية أكبر بين وسائل الإعلام لتقديم الأفضل للمتلقّي.

وبالرغم من هذه الخدمات التي قدمتها البيئة الافتراضية إلى وسائل الإعلام التقليدية إلا أنه لا يمكن إغفال الدور السلبي الذي لعبته، حيث سقطت كثير من المضامين الإعلامية في فخ الابتذال والميوعة وغابت عنها المعالجة الموضوعية لكثير من القضايا الجادة، بعدما احتكمت إلى الشعبوية والإثارة التي فرضها مرتادو موقع "الفيسبوك" في كثير من المحطات، عبر تعليقاتهم الساخرة وتلك الصور المفبركة التي تداولوها لانتقاد شخصية عامة أو قرار حكومي. وأحيانا كان هذا الموقع مصدرا للشائعات ما أوقع كثير من وسائل الإعلام في أخطاء مهنية جسيمة أضرت بسمعتها وتسببت في تضليل الرأي العام بعدما تلقى معلومات مغلوطة تبين في ما بعد عدم صحتها.

العلاقة بين وسائل الإعلام التقليدية ومرتادي مواقع التواصل يجب أن تحتكم إلى المهنية والاحترافية، التي تقتضي من المنتسبين إلى مهنة الإعلام التأكد من صحة الأخبار وتمحيص كل ما ينشر من معلومات عبر مثل هذه المواقع، مع التعاطي مع الأفكار الجادة التي يطرحها الفاعلون الميدانيون والأخذ بالانتقادات الموضوعية لتقويم المضامين الإعلامية كي تؤدي وظائفها في تثقيف وتربية وتوعية أفراد

المجتمع، كون وسائل الإعلام مؤسسة تنشئة اجتماعية تكمل دور الأسرة والمدرسة والمسجد في غرس القيم الأخلاقية والإنسانية لدى مكونات المجتمع.

الهوامش:

¹- محمود علم الدين: *تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري*، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص:128.

²- علي حرب: *أزمة الحداثة الفائقة الإصلاح-الإرهاب-الشراكة*، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص:34.

³- بسيوني إبراهيم حمادة: *دراسات في الاعلام وتكنولوجيا الاتصال والرأي العام*، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص:121.

⁴- مرزوق عبد الحكم العادلي: *الإعلانات الصحفية دراسة في الاستخدامات والإشباع*، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص:7.

⁵- أشرف فهيم خوخة: *الإخراج الصحفي والصحافة الإلكترونية*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013، ص:19-20.

⁶- نعيم سعد زغلول: *الانترنت كنافذة إعلامية جديدة -الواقع والمستقبل-*، ملتقى حول الصحافة الالكترونية - مستقبل وسائل الإعلام في العصر الرقمي-، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2010، ص:319.

⁷- عباس مصطفى صادق: *مداخلة بعنوان: مصادر التنظير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد*، أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، من 7 إلى 9 أبريل 2009، ص:34.

⁸- كمال الشيرازي: *هذا هو إرث الخائن "بن قانة" الذي مجده التلفزيون الجزائري*، جريدة الشروق اليومي، العدد: 5379، الجزائر، 24 فبراير 2017، ص:5.

⁹- باسكال بونيفاس (تر) روز مخلوف: *المثقفون المزيقون النصر الإعلامي لخبراء الكذب*، ط1، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2013، ص:15.

¹⁰- راضية شايت/س.كريمة/ عمر الفاروق: *النهار تنشر التفاصيل الكاملة لقصة "إكرام":* 17 نوفمبر 2017: <https://www.ennaharonline.com/النهار-تنشر-التفاصيل-الكاملة>.

¹¹- ن.وردة: *العربي بن مهدي يشوّه في ذكرى استشهاده: 20 نوفمبر 2017*

www.elkhabar.com/press/article/101752/

¹²- عبد الرحمن بن نامي المطيري: *مداخلة بعنوان: دور القائم بالاتصال في ضوء نظرية تأثير الشخص الثالث*، أبحاث المؤتمر الدولي، الإعلام الجديد تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، من 7 إلى 9 أبريل 2009، ص:215.

